القراءات القرآنية في ظل المنهج اللفظي عند عالم سبيط النيلي

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين عودة هاشم
جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

القراءات القرآنية في ظل المنهج اللفظي عند عالم سبيط النيلي

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين عودة هاشم
جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة :

يتتبع البحث منهج عالم سبيط النيلي في التعاطي مع القراءات القرآنية، ومنهجه هذا يرتكز على قواعد ست إحداها: إبطال تعدد القراءات – ميدان البحث- وفيها ينفي صحة الاعتقاد بالقراءات القرآنية جميعها، ويوجب الأخذ بالقراءات التي تطابق النظام القرآني ولو كانت شاذة ، أما إذا خالفت القراءة النظام القرآني فيجب التوقف والمرور من طريق آخر أو الترك كما صرّح في كتابه (نظام القرآن الكريم في رحلة الكشف وحوارية الكفر والإيمان) .

يحاول البحث تلمس الفروق الدلالية في بعض القراءات القرآنية التي طبق النيلي منهجه اللفظي فيها ، وفحص هذا المنهج ونقده للتأكد من إمكانية انتهاجه و الإفادة من الثراء اللغوي الذي تتضمنه القراءات القرآنية التي وصلتنا، وقد عدّ النيلي منهجه اللفظي هو المسلك الوحيد القادر على فهم النص القرآني والوصول إلى معناه الحقيقي القطعي الدلالة .

المقدمة:

عالم سبيط النيلي نشأته ومكانته العلمية :

قبل البدء ببيان منهج النيلي في التعامل مع القراءات القرآنية لا بد لنا من الوقوف عند حياة هذه الشخصية التي تركت بصمتها في الدراسات اللغوية الحديثة فقد ولد عالم سبيط في العراق في محافظة بابل في مكان يدعى (السوره) تابع لناحية النيل الواقعة شمال مدينة الحلّة الحالية بمسافة قليلة. وفي هذه المنطقة ولد جملةٌ من أكابر العلماء المحدّثين ممن حملوا لقب (النيلي) أو لقب (السورائي)، تجد تراجم لهم في كتاب روضات الجنّات وفي التراجم الأخرى لرجالات الفكر في العراق. وتربّى، بين أفراد عائلة مشبّعة بالحسّ الديني الفطري الذي استطاع الوقوف عصياً على كلّ التيارات الوافدة، وكان والده شاعراً.

ولقد كان ذا ذهنية لامعةً كما يشهد أقرانه، ففاقَ أقرانه في دراسته. ولقد كان مستضعفاً متواضعاً هادئاً فتفوّق في خُلقه. ومن جمع الاثنين: قوّة في فهمٍ وجمالاً في خُلُقٍ فتوقّع منه أثراً مدوياً لا في محيطه لو قدّر الله، بل في كل مكان... وهذا ما كان!.

وقد تمكّن النيلي من الدراسات العليا في هندسة الإلكترونيات، وقت إن تمكّن من المطاولة في المناظرات. فحاز درجة (الماجستير) في الأولى، ونال التقدير في الثانية. ففي الاتحاد السوفيتي السابق الذي كان يحمل لواء الفكر المادي، كابد النيلي عناءً عقدياً مستديماً في مواجهة أكابر المنظّرين الماديين في هذا

البلد، ودخل معهم في معمعة المناقشات الفلسفية العامة مسلّحاً بدرايةٍ نقديةٍ مبكرةٍ لمجمل الفكر الغربي حصّلها من دراساته ومطالعاته المكثفة منذ أيام صباه. وفي أواخر كتاب (أصل الخلق) نقلَ لنا مناظرةً بينه وبين أحد هؤلاء تعطي نظرةً وافيةً إلى مدى البنية العقائدية التي أنطلق على أساسها إلى عالم التنظير ليقابل بها الآخر بكلِّ تمكّنٍ واقتدار.

وقد أثارت لديه دراسته الهندسية إشكالات عديدة تتعلّق بالنظرة المعتادة إلى كتاب الله. ففي الوقت الذي تأكّد له أنّ هذا القرآن هو كتاب الله حقّاً من خلال تأثّره البالغ به أيام صباه، فإنّه كان مأخوذاً من المفارقة المدهشة بين عظمة هذا الكتاب وبين طرائق إظهار هذه العظمة لدى عامة المفسّرين.. إذ لم يكن ليستوعب هذه المفارقة إلاّ بعد سنواتٍ من التأمل في سببها امتدّت طويلاً وأخذت منه كلّ جهد.

فقد صرّح بأنَّ عمق كتاب الله وجلال آياته وسموّ مقاصده وعلوّ مقامه كان يتحجّم ويذوي كلّما قرأ تفسيراً أو كلّما مرّ بتأويلٍ. وهذا التصريح تجده في كتابه الآخر (نظام القران الكريم في رحلة الكشف وحوارية الكفر والإيمان) الذي طرح فيه احتمالاً بأنّ السبب في هذا التحجيم هو في نظرة الأمة بعلمائها إلى كتاب الله ليس إلاّ.. وهي نظرةٍ وضعها مكبّرةً بعد ردحٍ من سنين طويلةٍ قضاها في التأمل والتفكير ليجد فيها السطوة الهائلة لمكرٍ خفيٍّ.. خاصةً بعدما مضى قدماً في كشفه لمظاهر النظام القرآني، وبعدما استطاع أن يجد جذوراً قويةً لهذه النظام لدى علماء أهل البيت عليهم السلام.

ولذلك توالت طروحاته النقدية العنيفة على الفكر الاعتباطي العام سواء على صعيد اللغة أو الفلسفة أو الاجتماع أو الأصول الفقهية أو التفسير. ولم يكتف بذلك فحسب ، بل قدّم تأسيساً جديداً لهذه العنونات العامة. فقد أبان عن قصدية اللغة في كتابه اللغة الموحدة، وفنّد الآخر الفلسفي في تأسيسٍ يبتدئ بالـ (هو) بدلاً من (الأنا)، وصوّر بديلاً مكيناً للعلاقات الاجتماعية وقوانينها في كتابه طور الاستخلاف، ووجّه نقداً دامغاً لأساليب العملية الأصولية منادياً بطرحٍ آخرٍ يؤصّل العملية استناداً إلى كتاب الله الذي هو نظامٌ كلّي يقاس بكلّ شيءٍ إليه ولا يقاس بشيء. وأيضاً فقد واجه الطرائق التفسيرية جامعاً إيّاها في بودقةٍ واحدةٍ أسماها بالاعتباط الديني.. وقدّم بدلاً منها المنهج اللفظي.انتقل إلى رحمة الله في مساء ليلة الجمعة من يوم ٢٠٠٠/٨/١٧.[1]

وفيما يأتي قسماً من مؤلفاته:

١. طور الاستخلاف . دراسة في مستقبل الجنس البشري على ضوء القرآن والسّنة .
٢. أصل الخلق ـ بحث في نشأة الإنسان على ضوء كتاب الله.
٣. اللغة الموحدة ثلاثة أجزاء ما زال الثالث مخطوطاً ـ كتاب يؤسس لنظرية جديدة في علم اللغة العام تقوم على مبدأ القصدية في البنية اللغوية.
٤. ملحمة جلجامش والنص القرآني ـ يتحدّث عن وحدة الشخصيتين جلجامش وذي القرنين على ضوء اللغة والعلم.

٥. الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية ـ كتاب في نقد طرائق البحث اللغوي المتعلقة بكتاب الله ونقد كتابي الجرجاني أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

٦. الحل الفلسفي بين محاولات الإنسان ومكائد الشيطان ـ كتاب في نقد الفلسفة والأناوات الفلسفية المختلفة بشكلٍ عامٍ وهو تفسيرٌ لمقطع واحدٍ من سورة الإخلاص هو (قل هو).

٧. البحث الأصولي بين عقل الإنسان وحكم القرآن ـ نقد عنيفٌ للعملية الأصولية عند الفكر الأصولي.

٨. الشهاب الثاقب المحتج بكتاب الله في الردّ على الناصب أحمد الكاتب ـ كتابٌ ولا أروع!

وهناك مؤلفاتٌ أخرى تنبع كلها من الفكرة نفسها أي فكرة النظام، ومعظمها مطبوعٌ حاسوبياً.[٢] وبعد هذا النبذة المختصرة ننتقل إلى تقديم وتعريف بالمنهج الذي خطه عالم سبيط لنفسه.

القراءات القرآنية في ظل المنهج اللفظي عند عالم سبيط النيلي:

عرف عالم سبيط النيلي بإتباعه منهجا لفظيا خاصا عده المنهج الوحيد القادر على فهم النص القرآني والوصول إلى المعنى الحقيقي القطعي الدلالة للنص القرآني ناسفا جهود السلف من البلاغيين والنحويين والمفسرين مسفها آرائهم و يقوم هذا المنهج على قواعد ست :

الأولى : قاعدة إبطال المترادفات التي يقول فيها : بعدم جواز تفسير أو شرح مفردة أو لفظ آخر بحجة التقارب في المعنى بينهما وفيها فروع :

١- قيد اللفظ والمعنى

٢- قيود صيغ الحروف

٣- قيود صيغ الأسماء والحروف

٤- قيود صيغ الأفعال

٥- قيود الصيغ الأخرى

القاعدة الثانية : إبطال تعدد المعاني للفظ الواحد (قيود المعنى في التراكيب)

القاعدة الثالثة : إبطال التقديرات المتنوعة للمركبات والألفاظ في التراكيب ، قيود مواقع المركبات والألفاظ في التراكيب.

القاعدة الرابعة : إبطال التقديرات العشوائية للترتيب العام للجملة ، قيود ترتيب الألفاظ والمركبات في التراكيب.

القاعدة الخامسة : في إبطال المجازات (لا يجوز للباحث الاعتقاد بوجود مجاز في القرآن الكريم بكافة أقسامه ويعد شرح التراكيب بهذه الطريقة باطلا) ولها فروع:

١- إبطال التشبيه الإستعاري.

٢- في إبطال الكناية .

٣- يوجب إبطال الإيجاز والإطناب[٣].

السادسة : في إبطال تعدد القراءات(لا يجوز للباحث في هذا المنهج الاعتقاد بصحة جميع القراءات للفظ الواحد ،ويتوجب عليه الأخذ بالقراءة التي تطابق النظام القرآني ولو كانت شاذة وعند غياب القراءة المطابقة للنظام يجب التوقف والمرور من طريق آخر أو الترك)(٤).

وما يهمنا من منهجه القاعدة السادسة موضوع البحث إلا أننا تطرقنا للقواعد الأخرى لكي يكون القارئ على بينة بالمنهج ومعرفة به بصورة إجمالية حتى يستطيع أن يتواصل معنا فيما سنطرحه من انتقادات للقاعدة السادسة لكونها تعتمد على القواعد الأخرى ، عند التوقف في هذه القاعدة نجد أن سبيط النيلي لم يعترف بالضوابط التي وضعها العلماء للأخذ بالقراءة وجعل جميع القراءات باطلة ماعدا تلك التي تتلاءم والمنهج الذي اتبعه حتى لو كانت تلك القراءة شاذة بل ذهب إلى أكثر من ذلك إذ قد لا توجد قراءة تتفق ومنهجه فعلى الباحث أن يمرَّ من طريق آخر أو يتركها وهذا يعني أن النص القرآني قد جاء برواية غير صحيحة أي: انه محرف لا لشيء إلا لأنه ؛لا يتوافق مع المنهج ، وفضلا عن ذلك إن سبيطاً لم يثبت صحة القراءة التي يقرأ بها القرآن اليوم ، وعليه فان الآيات التي نقرؤها اليوم والتي لا تتلاءم مع المنهج اللفظي تعد باطلة ، وفي الوقت الذي يعد النيلي فيه القراءة أحد أهم أواصر النظام القرآني المحكم وأحد مفاتيح المرور إلى الفهم القرآني نجده يطرحها جانبا إذا لم تتوافق والمنهج الذي يتبعه فيجب أن يمر الباحث عليها من طريق آخر او يتركها.(٥)

ولا ادري لم هذا الوجوب الذي نجده في منهج السبيط ، وهو بفعله هذا لا يختلف عن اللغويين ، والبلاغيين، والمفسرين الذين انتقدهم فهم اتخذوا منهجا وطبقوه على القرآن معتقدين صحته ، أم يجوز له ولا يجوز لغيره والغريب أن ما يثبته في شروط قبول القراءة لديه تخالف ما يقوله كما سيتبين من خلال بيان المستندات الأربعة التي وضعها في تحديد القراءة :

المستند الأول : إن القرآن قد أشار إلى أن قراءته من عند الله لا من عند احد القرّاء والدعوى القائلة إن هؤلاء القراء اخذوا القراءة عن النبي- ﷺ- دعوى باطلة من أصلها ؛لان الثابت في التفسير ، والنحو ، وعلم البلاغة من قراءات نسبت إلى أهلها اجتهادا لا نصا كما هو واضح . وشهرة بعض القرّاء من دون بعض لا تتكفل بإثبات عكس ذلك ودعوى تواتر سبع قراءات فيه أكثر من إشكال:

١- الاختلاف الشديد في معنى السبعة.

٢- الخلط بينها وبين الأحرف السبعة.

٣- نقصان عدد الرواة عن الحد المخصص للتواتر دوما ، فإطلاق لفظ (متواتر) على بعض القراءات لا يعني تواترها على وفق قواعدهم أما الذي ذكره الله عن قراءته فهو قوله تعالى : ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ{١٨} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)) (٦) فتدل هذه الآيات على أن توليف القرآن

وهو ما سماه المنهج (بالترتيب) وقراءته هي من شؤون المتكلم لا من شؤون المتلقي ، ولما كان اللفظ يتغير في معناه عند تغير القراءة فتغير المعنى وتردده بين عدة وجوه لا يجوز عليه تعالى [٧].

قبل الانتقال إلى المستند الثاني لابد من التنويه إلى أن سبيطاً في هذه الأسطر يثبت عدم صحة جميع القراءات وفي ضمنها التي مابين الدفتين في الوقت الحاضر ، ومن ثمة يعترف أن القرآن في ترتيبه وتوليفه هو من شؤون الخالق . السؤال الذي يطرح نفسه إذا لم نعترف بأية رواية أو قراءة فكيف سيصل إلينا القرآن ؟ وكيف نستطيع معرفة أن هذا القرآن الذي بين أيدينا أو احد القراءات الواردة هو من الله تعالى ؟ وإذا كان يعترف أن المعنى يتغير بتغير القراءة كان عليه أن لا يعتمد على أي قراءة غير القراءة الواردة في النص الموجود لدينا ، وإذا كان لا يعتمد عليها فلا يلوم النحاة والبلاغيين في تقديراتهم فربما التقديرات التي يقدرونها معتمدين فيها على بعض القراءات هي الصواب ، وإذا كان يثبت صحة القراءة الشاذة إذا توافقت مع منهجه تاركا ما ورد بين الدفتين هذا يعني أن القرآن الذي بين الدفتين محرّف والصحيح ما اختاره هو ، بحسب المنهج المتبع لكون القراءة التي اختارها تتناسب والمعنى الذي استنتجه وفقاً للمعنى اللفظي الذي وضعه .

المستند الثاني: ورود المرويات التي تشير إلى أن قراءة اللفظ هي واحدة وان الاختلاف جاء من الرواة أنفسهم ، والتساؤل المطروح هنا إذا كان الطريق الوحيد الذي أتانا عن طريقه النص القرآني هو الرواية فكيف سنعرف ذلك اللفظ الوحيد؟ وهل المنهج اللفظي المقترح يستطيع أن يجزم لنا أن هذه الرواية هي التي نزل بها القرآن ؟ من دون الاعتماد على الرواة وتواتر الروايات .

المستند الثالث: يكشف المنهج أن القراءات في كثير من الأحيان لم توضع على أي مقياس معلوم أو منهج علمي .

المستند الرابع : إن المنهج لا يمكنه الحركة مع الاعتقاد بتعدد القراءات كما هو واضح الآن ؛ لان التعدد معناه تعدد المعاني المحتملة للفظ الواحد، وهو بخلاف قواعد المنهج أما قول المفسرين: في اللفظ إذا قرئ بصورة مختلفة (وهما بمعنى واحد) أو قولهم: (جميعا بمعنى واحد) فذلك باطل على وفق رؤية هذا المنهج للألفاظ [٨] .

وبعد هذه المستندات الأربع يورد مثالا على القراءات المثبتة في المصحف خلافا للنظام الهندسي في القرآن ، وهو بذلك يثبت كما اشرنا أن ما هو وارد في المصاحف المطبوعة اليوم غير صحيح والصحيح ما يثبته هو والذي يقول: انه ورد على لسان ستة من القرّاء على خلاف المثبت فورد عن طريق قراءة واحدة .

قال تعالى: ((فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا))[٩] يقول سبيط: لقد لاحظ المنهج أن لفظ (زكية) في هذا المورد بهذه الصورة يتعارض وقواعده فثبات المعنى للفظ يحتم أن يكون اللفظ هنا وفي مورد آخر في سورة مريم في وصف المسيح (ع) ((قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا

زَكِيًّا))[١٠] بمعنى واحد والسبب في التعارض هو أن الزكي كصفة للمسيح تعني: الطاهر والمبرأ من الذنوب ، وهي صفة لا يجوز ذكرها من موسى – عليه السلام - لوصف الغلام المقتول بيد العبد الصالح . والأمر عند المفسرين هين إذ يمكن القول أن موسى– عليه السلام - كان يصف طفلاً والطفل نفس زكية ؛ لأنه دون سن التكليف فلا موسى اخطأ ولا العبد الصالح ؛ لان العبد الصالح مأمور بذلك بعلم خاص لا يعلمه موسى – عليه السلام -[١١] . إن للمنهج أراءً مخالفة استخلصها من القرآن تجعل الأمر خطيرا للغاية وليس هينا :

الأول : إن موسى -عليه السلام- نبي مرسل ولا يدعي ما لا يعلم فكيف علم أن الغلام زكي وحقيقته انه كافر كما يخبرنا القرآن فيما بعد فلا يجوز أن ينسب إليه مثل هذا الجهل . سيتبين للقارئ فيما بعد أن موسى-عليه السلام- لم يدّع ما لم يعلم وإنما عبر باللفظ الدقيق. واعتمادا على منهج سبيط نفسه ، وان رأي المفسرين هو الأقرب للصحة

الثاني: إن موسى -عليه السلام- جاء ليتعلم من العبد الصالح وقوله واصفا الغلام انه نفس زكية مخالف للغاية التي جاء من اجلها وهي التعلم نقيضها ، علما انه في هذه المرحلة لم يكن ناسيا الاتفاق والشرط كما في حادثة السفينة ، ويبدو ان سبيطاً لم يكن دقيقا عندما قال: إن القراءة المعتمدة في المصحف الحالي مبنية على قراءة واحدة ، و الصحيح خلاف ذلك إذ وردت قراءة زكية على لسان زيد بن علي ، والحسن ، والجحدري ، وابن عامر.

أما زاكية فقد قرأ بها ابن عباس ، والأعرج ، وأبو جعفر ، وشيبة، وابن محيصن ، وحميد ، والزهري ، ونافع، واليزيد ، وابن مسلم ، وزيد ، وابن بكير عن يعقوب ، ورويس عنه أيضاً ،وأبو عبيد ، وابن جبير الأنطاكي، وابن كثير ، وأبو عمرو [١٢] . وقال الطبري: (قرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة:(**أَقَتَلْتَ نفْسا زَاكِيَةً**) وقالوا معنى ذلك: المطهرة التي لا ذنب لها، ولم تذنب قطّ لصغرها ، وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة:(نَفْسا زَكِيَّةً) بمعنى: التائبة المغفور لها ذنوبها .)) [١٣] وقيل : هما لغتان بمعنى كقوله: قاسية و قسية [١٤].

فضلا عن انه لم ينتبه إلى التعبير القرآني الذي يوحي بان موسى – عليه السلام - سيتعجل في كثير من الأمور وانه سيصدر منه كل هذه التفاصيل إذ قال له العبد الصالح مسبقا: ((قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا)) [١٥].

وهذا الاستعجال في السؤال لا يخالف مبدأ طلب العلم وليس السؤال هو نقيض طلب العلم بل النقيض هو ترك الطلب . ثم يختتم سبيط بقوله: (وبناء على ذلك فلا بد من الاعتقاد أن هذا اللفظ يجب أن يكون مختلفا في القراءة في الموضعين في الكهف ومريم واعتقدنا خلال بحثنا في المنهج أن قراءة اللفظ (زاكية) بدل زكية كاف للتعريف وملائم للنظام المحكم في القرآن ؛ لان (الزاكي) هو المكتمل النمو النشط فيه) [١٦] وهي صفة لا علاقة لها بالإيمان والكفر والهدى والضلال؛ لأنها من الخصائص الجسمانية .

لا اعلم من أين أتى سبيط بهذا التفريق فان اعتمد المعاجم فالمعاجم لا تفرق بينهما ؛ لان الأصل عندهم واحد وان اختلفت الصيغة وهو يرفضه جملة وتفصيلا جاء في لسان العرب ((والزَّكاةُ الصلاحُ ورجل تقيٌّ زَكِيٌّ أَي: زاكٍ من قوم أَتْقياء أَزْكياء ، وقد زَكا زَكاء وزُكُوّاً وزَكِيَ وتَزَكَّى، وزَكَّاه الله وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً: مدَحها وفي حديث زينبَ كان اسمُها بَرَّةَ فغَيره وقال: تُزَكِّي نفسَها. وزَكَّى الرجل نفسَه إِذا وصفها وأَثنى عليها ، والزَّكاةُ زَكاةُ المال معروفة ، وهو تطهيره والفعل منه زَكَّى يُزَكِّي تَزْكِيةً إِذا أَدّى عن ماله زَكاته غيره والزَّكاة ما أَخرجته من مالك لتهطره به وقد زَكَّى المالَ. وقوله تعالى:((وتُزَكِّيهم بها)) قالوا: تُطهِّرُهم قال أَبو علي: الزَّكاةُ صفوةُ الشيء. وزَكَّاه إِذا أَخذ زَكاتَه. وتَزَكَّى أَي: تصدَّق وفي التنزيل العزيز((والذين هم للزَّكاةِ فاعِلُون)) قال بعضُهم : الذين هم للزكاة مُؤْتُون، وقال آخرون: الذين هم للعمل الصالح فاعِلُون، وقال تعالى:((خيراً منه زَكاةً)) أَي : خيراً منه عملاً صالحاً وقال الفراء: زَكاةً صلاحاً وكذلك قوله عز وجل : ((وحناناً من لدنَّا وزَكاةً)) قال: صلاحاً أَبو زيد النحوي في قوله عز وجل: ((ولولا فضل الله عليكم ورحمتُه ما زَكا منكم من أَحد أَبداً ولكن اللهُ يُزَكِّي من يشاء)) وقرئ ما زَكَّى منكم فمن قرأَ ما زَكا فمعناه ما صلح منكم ، ومن قرأَ ما زَكَّى فمعناه ما أَصلح ، ((ولكن الله يُزَكِّي من يشاء)) أَي : يُصلح وقيل : لما يُخْرَج من المال للمساكين من حقوقهم زَكاةٌ ؛ لأَنه تطهيرٌ للمال وتَثْميرٌ وإِصْلاحٌ ونماء كل ذلك قيل: وقد تكرر ذكر الزكاة والتَّزْكِية في الحديث قال: وأَصل الزكاة في اللغة الطهارة والنَّماء والبَركةُ والمَدْح وكله قد استعمل في القرآن والحديث ووزنها فَعَلةٌ كالصَّدَقة فلما تحرَّكت الواو وانفتحُ ما قبلها انقلبت أَلفاً وهي من الأَسماء المشتركة بين المُخْرَج والفعل فيطلق على العين وهي الطائفة من المال المُزَكَّى بها وعلى المَعنى وهي التَّزْكِيَة قال ومن الجهل بهذا البيان أَتى من ظلم نفسَه بالطعن على قوله تعالى: ((والذين هم للزَّكاةِ فاعلون)) ذاهباً إِلى العين وإِنما المراد المعنى الذي هو التَّزْكِيةُ فالزَّكاة طُهرةٌ للأَموال وزَكاةُ الفِطْرِ طهرةٌ للأَبدان وفي حديث الباقر- عليه السلام- أَنه قال: زَكاةُ الأَرض يُبْسُها يريد طَهارَتَها من النجاسة كالبول وأَشباهه بأَن يجف ويذهب أَثرُه والزَّكا مقصور الشَّفْعُ من العدد الجوهري وزَكا الشَّفْعُ يقال :خسا أَو زَكا والعرب تقول: للفرد خَسا وللزوجين اثنين زَكا وقيل: لهما زَكا ؛ لأَن اثنين أَزْكى من واحد قال العجاج :

عن قَبْضِ من لاقى أَخاسٍ أَمْ زَكا

ابن السكيت الأَخاسي جمع خَسا وهو الفرد اللحياني زَكِيَ الرجل يَزْكى وزَكا يَزْكو زُكوّاً وزَكاءً وقد زَكَوْتَ وزَكيتَ أَي صرت زاكياً ابن الأَنباري: الزَّكاءُ الزِّيادة من قولك: زَكا يَزْكو زكاءً وهذا ممدود وزكا مقصورٌ)) [17]. هذه هي المعاني التي وردت وهي: الصلاح ،والتقى ، والنمو .

أما اعتماده على أهل البوادي الآن فليس بحجة يقول: إن أهل البوادي يقولون هذا زرع زاك أي كامل النمو[18] إذ لا بد من اخذ معنى الدلالة في الزمن الذي قيل فيه النص ، أما اعتراضه على أهل اللغة والمفسرين في قولهما: هما بمعنى واحد أو أن الزاكية هي التي لم تذنب قط والزكية هي التي إذا

أذنبت ثم تابت [١٩] فاللغويون يرونها بمعنى واحد بناء على منهجهم الذي يعتمد الأصل الواحد لا أن كل صيغة أصل كما يعتقد سبيط ، أما القول بالتفريق فهو معتمد على سياقات كلامية إلا أن النتيجة لهذا التفريق هو أن هذه النفس صالحة ؛ لان التوبة تطهر النفس من الذنوب ومع ذلك نؤيده لرفض هذا التفريق اعتمادا على ما جاء في النص القرآني كما اثبت هو نفسه من كون صفة (الزكية) أعطيت لعيسى -عليه السلام- فلا يصح أن يكون عيسى -عليه السلام- اذنب ثم تاب إلا أننا نختلف في هذا التحديد للمعنى ، فعلى وفق قاعدته التي تقول : إن كلام الخالق غير كلام المخلوق وان اللفظة يستعملها العبد على المعنى الذي اصطلاحه هو لا الذي يريده الخالق فيمكن القول إن الله تعالى قد قصد بهذه اللفظة معنى لم نصطلح نحن عليه وانه يستعملها في كلا الأمرين بمعنى واحد كما اثبت في استعمال لفظ (ذاق) [٢٠] أي انه يطلقها على الأنبياء وعلى النفس الإنسانية لكونها لم تذنب بعد كما قال المفسرون ، ثم ما المانع من القول أن موسى -عليه السلام- تعامل مع الغلام على انه طاهر لكونه لم يعص بعد ، أما قول الخضر -عليه السلام- : ((فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً)) [٢١] فهو إخبار للمستقبل وعليه فان النص القرآني الوارد كان أدق وابلغ ؛ .لأنه نظر إلى الغلام في وصفه الحالي لا المستقبلي .

أما تأويل سبيط فهو مبني على المستقبل ، فضلا عن انه لم ينقل لنا آراء جميع المفسرين وإنما اعتمد على تفسير التبيان فقط ، أما استنكاره على أن لفظ (غلام) لا يدل على كونه طفلا فقد يكون بالغا لكون لفظ غلام يطلق على البالغ وغيره ، فمردود من وجوه:

أولها :انه اعتمد في تحديد هذا على اللغويين والمفسرين وهو لا يعترف بمنهجهم الذين هم منقسمون فيه على قسمين إلا أن الرأي الراجح انه كان طفلا وقيل: لايمكن القطع في هذا المجال بالنسبة للآية نفسها [٢٢] ، فالذي ذهب إلى أن (الغلام) هنا تدل على انه كان طفلا استدل بعبارة (لفظ زكية). أما من ذهب إلى كون الغلام ليس ببالغ فاستدل بعبارة (بغير نفس) لكون القصاص لا يكون إلا على البالغ. [٢٣]

ثانيها: إن الناظر في النص القرآني يجد أن استعمال لفظ زكية أكثر دقة ومطابقة لواقع الآية إذا اعتمدنا على المنهج الذي اعتمد عليه سبيط نفسه الذي يذهب إلى أن معنى الكلمة لا يتغير بتغير السياق نستطيع أن نجزم ان لفظ الغلام الوارد في النص يدل على انه كان طفلا ، فقد ورد لفظ الغلام في مواطن أُخر في النص القرآني جاء فيها دالا على مرحلة الطفولة من هذه الموارد قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)) [٢٤] وقوله تعالى: ((وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)) [٢٥] وقوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)) [٢٦] وقوله تعالى : ((قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)) [٢٧] فالمتأمل بهذه الآيات يستنتج ومن دون أي عناء أن لفظ غلام يدل فيها على مرحلة الطفولة لا غير وعليه واعتمادا على منهج سبيط يكون التعبير بـ (

زكية) ابلغ من زاكية وان النص الوارد هو الأفصح وعلية(يجب) -على لغة سبيط - أن يؤسس عليه لا على القراءات الأخرى ، أما استنكاره على المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى : ((لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا)) [٢٨] بقوله :((إن نكرا لا يعني منكرا كما زعم المفسرون إذ جعلوا هذه اللفظة هي الأخرى بمعنى (عمل قبيح) أو منكر لتؤيد التحريف في لفظة (زاكية) فالنكر هو الأمر المجهول الذي لا تعرف حقيقته وقد استعمل القرآن بهذا المعنى قال تعالى : ((فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ)) [٢٩] وقوله تعالى ((إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ)) [٣٠] وقوله تعالى ((فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ)) [٣١] وفي الموارد الثلاثة نفس الشخوص وهم المرسلون من الملائكة) [٣٢] والغريب أن سبيطاً في تفسيره هذا قد تنازل عن مبدأين مهمين وهما: مبدأ قيود صيغ الأفعال، ومبدأ قيود صيغ الأسماء اللذين يثبت من خلالهما أن اللفظ القرآني بكل صيغه يكون لفظا مستقلا وله معنى يختلف عن الأخر وان كان من أصل واحد.

وعليه فإننا لا يمكن أن نفسر(نكرا) بـ (نكرهم) لكون الأولى اسمية والثانية فعلية ولكل واحدة منهما معنى مستقلا وعلى وفق المنهج اللفظي وكذلك باقي المفردات وعليه فان سبيطاً في هذا المورد قد اعتمد ما عاب به اللغويين من اعتماده على الأصل الواحد ، وهكذا نجد أن سبيطاً تارة يلتزم بالمنهج الذي خطه لنفسه وأخرى يخرقه من حيث لا يحتسب ، فضلا عن ذلك ما يقول سبيط في تفسير(نكرا) في الآيات الآتية والتي لم يذكرها ، قال تعالى :((حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا)) [٣٣] وقال تعالى: ((وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا)) [٣٤] فهل نستطيع تفسير نكرا بمجهول كما فسرها سبيط في الآيات التي أوردها واعتمادا على مبدأ المعنى الواحد الذي يقول به ؟

الجواب: لا ولذلك ذهب المفسرون إلى تفسيرها بعظيم أي: منكرا عظيما ، وقيل: النُكر بضمتين ، وبضم فَسكون : ما ينكره الرأي من فظاعة كيفيته إنكاراً شديداً [٣٥] وأخيرا نقول: إن الذي يريد الوقوف على القراءات القرآنية لابد له أن يكون حذرا مميزا النص القرآني الذي بين أيدينا من القراءات التي قرئ بها فيجب أن نجعل الذي بين أيدينا الأصل وخلافه مجرد قراءة لا ترتقي إلى فصاحة النص القرآني المقروء حتى نتخلص من قضية التحريف والقول به من حيث لا نشعر، فالقراءات القرآنية ومهما قيل فيها وفي ضوابطها لا يمكن القول: إنها توازي النص القرآني ؛ لان ذلك يوقعنا بالقول بالتحريف وهذا ما لا يحمد عقباه.

الخاتمة

وبعد هذا التجوال مع عالم سبيط النيلي يمكننا أن نستنتج ما يأتي:

١- إن سبيط النيلي قد ابتدع له منهجا خاصا في التعامل مع النص القرآني والقراءات القرآنية بصورة خاصة.

٢- من أهم مبادئه نفي القول بالمجاز وكل ما ورد في القرآن ورد على حقيقته.

٣- اعترض سبيط النيلي على أهل اللغة لقولهم بتعدد المعنى للفظ الواحد.

٤- نجد أن النيلي لم يلتزم بمنهجه الذي وضعه وانه عاد إلى ما اعترض عليه عند اللغويين وقد فصلنا ذلك.

٥- أما فيما يتعلق بالقراءات القرآنية فقد وقع في منزلق خطير إذ جعل القراءة أفصح من النص الموجود حاليا وعلية فهو يقول بالتحريف ،إلا انه لم يصرح بذلك إذ يقول : إن المنهج لا يمكنه الحركة مع الاعتقاد بتعدد القراءات كما هو واضح الآن ؛ لان التعدد معناه تعدد المعاني المحتملة للفظ الواحد وهو بخلاف قواعد المنهج، أما قول المفسرين في اللفظ إذا قرئ بصورة مختلفة (وهما بمعنى واحد) أو: قولهم (جميعا بمعنى واحد) فذلك باطل على وفق رؤية هذا المنهج للألفاظ (٣٦) وبعد هذه المستندات الأربع يورد مثالا على القراءات المثبتة في المصحف خلافا للنظام الهندسي في القرآن وهو بذلك يثبت كما اشرنا أن ما هو وارد في المصاحف المطبوعة اليوم غير صحيح والصحيح ما يثبته ه

Abstract

The present work investigates the views of Alem Sabit Al-Neeli concerning the Quranic readings. His model is based upon six rules; the first rule is to nullify the multi-readings in that he negates the beliefs of muti-Quranic readings. Instead, he insists on following the readings that are consistent with the Quranic system even though these are being abnormal, and if the reading becomes inconsistent with the Quranic system, the former should be set aside and choose another one or leave it as being explained in

(نظام القرآن الكريم في رحلة الكشف وحوارية الكفر والايمان)

The research tries to shed light on some differences in the Quranic Readings to which Al-Neeli applied his verbal model, and to inspect his perspectives and his criticisms just to be sure about the applicability of his production as well as to get the advantage of the linguistic repertoire implied in these readings.

هوامش البحث

١- ينظر: الطور المهدوي دراسة لاكتشاف القوانين الحتمية للتطور البشري ومستقبل الأرض في مرحلة الاستخلاف على ضوء الحل القصدي للغة: المقدمة A-B

٢- ينظر :الطور المهدوي: B

٣- ينظر : النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي:٢٧-٢٩

٤- ينظر: النظام القرآني:٢٩

٥- النظام القرآني :٩٥

٦- سورة القيامة :١٧-١٨

٧- النظام القرآني: ١٠١

٨- النظام القرآني:١٠٢
٩- سورة الكهف: ٧٤
١٠- سورة مريم :١٩
١١- ينظر: نظام القرآن: ١٢٠
١٢- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الالوسي١٥/٣٣٩ ، وينظر: اللباب في علوم الكتاب المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي ١٢/٥٣٧
١٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن ،الطبري :١٨/٧٤-٧٥
١٤-ينظر :الحجة في القراءات السبع ابن خالويه ٢٢٨ .
١٥- سورة الكهف: ٧٥
١٦- ينظر : النظام القرآني: ١٠٤
١٧- ينظر لسان العرب: ١٤/٣٥٨-٣٥٩ مادة (زكا).
١٨- ينظر : النظام القرآني: ١٠٦
١٩- ينظر: التبيان في تفسير القرآن :٧/٧٣، وينظر: والكشاف ٣/٦٠١، المحرر الوجيز تفسير ابن عطية ٣/ ٥٣٢، تفسير الفخر الرازي ٢١/١٥٦ .
٢٠- ينظر : النظام القرآني: ٩١-٩٣
٢١- سورة الكهف:٨٠
٢٢- ينظر:الميزان في تفسير القرآن ١٣/٣٤١
٢٣- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٩/٣٢٣
٢٤- سورة آل عمران:٤٠
٢٥- سورة يوسف: ١٩
٢٦- سورة مريم: ٨
٢٧- سورة مريم: ٢٠
٢٨- سورة الكهف:٧٤
٢٩- سورة هود: ٧٠
٣٠- سورة الذاريات: ٢٥
٣١- سورة الحجر: ٦١-٦٢
٣٢- ينظر :النظام القرآني: ١٠٥
٣٣- سورة الكهف :٨٦-٨٧
٣٤- سورة الطلاق: ٨
٣٥- ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن زمنين: مج٤/٤٠٤ وتفسير أبي السعود:٥/٢٤٣و٨/٢٦٣ ، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:٢٨/٣٣٥ .
٣٦ – ينظر: النظام القرآني:٩٥

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مؤسسة البعثة للطباعة والتوزيع ، بيروت ط ،١٤١٣هـ .
- التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .
- تفسير أبي السعود المسمى أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ) ، تحقيق عبد القادر احمد عطا ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة ، مطبعة السعادة / القاهرة.
- تفسير التحرير والتنوير الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب ، للإمام فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت٦٠٦هـ) دار الفكر، لبنان ط١ ، ١٤٠١هـ ،١٩٨١م ٠
- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ،ت٣٩٩ تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنرز ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط١ ، ٢٠٠٢.
- جامع البيان في تأويل القرآن ، ل محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، ﴿ ٢٢٤ - ٣١٠ هـ ﴾المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الحجة في القراءات السبع ابن خالويه ،تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم ،دار الشروق ،ط٣ /١٩٧٩.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ت ١٢٧٠ه دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .
- الطور المهدوي دراسة لاكتشاف القوانين الحتمية للتطور البشري ومستقبل الأرض في مرحلة الاستخلاف على ضوء الحل القصدي للغة من تطبيقات المنهج اللفظي للقرآن الكريم، عالم سبيط النيلي، مقدمة دار النشر ، دار بلوتو/ بغداد.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل لجار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ه تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه الاستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن احمد حجازي ، مكتبة العبيكان
- اللباب في علوم الكتاب تأليف الامام المفسر ابي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي ،ت ٨٨٠ ه تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه برسالته الجامعية الدكتور محمد سعد رمضان والدكتورمحمد المتولي الدسوقي حرب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط١ ، ١٩٩٨.
- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ، ط١، (د .ت) .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي، ت٥٤٦ ،تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط١، ٢٠٠١.
- الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت ، لبنان، ١٩٩٧ط١.
- النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي عالم سبيط النيلي ، إعداد فرقان محمد تقي مهدي الوائلي، مكتبة بلوتو، ٢٠٠٣ ط٢.